القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI

AL-QUDS Al - Arabi Volume 18 - Issue 5424 Monday 6 November 2006

السنة الثامنة عشرة ـ العدد 5424 الاثنين 6 تشرين الثاني (نوفمبر) 2006 ـ 15 شوال 1427 هـ

مالرو في سماء اليمن

صبحي حديدي

في السابع من آذار (مارس) 1934 كانت طائرة فرنسية تحلّق شمال الربع الخالي وشرقاً صوب هضاب اليمن، تحمل راكبين يحملقان في الأرض بشغف ولهفة وانتباه شديد، وأمّا الطيّار القلق فقد امتقع وجهه وتسمرت عيناه على مؤشر الوقود الآخذ في التناقص. كان الراكب الأول هو الأديب والفيلسوف والوزير الفرنسي أندريه مالرو (1901 ـ 1976)، والثاني هو الكاتب والضابط والسياسي الفرنسي إدوار كورنيليون ـ مولينييه (1898 ـ 1963)، وكانا في سماء اليمن يمارسان ما عُرف آنذاك باسم «التنقيب الجوّي»، يبحثان عن مدينة سبأ. بعد أيام سوف تتلقى اليومية الفرنسية L'Intransigeant برقية من جيبوتي، بتوقيع كورينليون ـ مالرو: «اكتشفنا مدينة سبأ الأسطورية. عشرون برجاً وهيكلاً ما تزال قائمة. على الحافة الشمالية للربع الخالي. التقطنا صوراً خاصة بالصحيفة. مودّتنا».

شحّ المعلومات حول هذه الواقعة، خصوصاً في مدى صدقيتها الأركيولوجية، ظل يكتنف معظم الكتابات التي تناولت حياة مالرو، ما خلا استثناءات محدودة (بينها أطروحة دكتوراه لامعة في السوربون، للمغربي عبد العزيز بنيس). واليوم أصدرت «جمعية مالرو» الفرنسية كتاباً، بالإنكليزية، عنوانه «البحث عن سبأ: مغامرة في جزيرة العرب»، كتبه والتر لانغلوا أستاذ الأدب الفرنسي في جامعة وايومنغ الأمريكية، لعلّه المرجع الأوسع عن هذه الحكاية المثيرة. وبصرف النظر عن المآلات العلمية، كان جوهر الحدث يمثّل إضافة أخرى عميقة إلى نواس مالرو الدائم بين قطبَيْ التجربة الإنسانية: الفعل والمخيّلة، والواقعي والعجائبي.

ليس دون بُعد سجالي، في الواقع، ينبثق من إشكالية شخصية مالرو ذاته، حتى حين تتوفر درجة قصوى من الإجماع حول هذه أو تلك من تفاصيل سيرته. وفي مثل هذه الأيام من العام 1996 اتخذ الرئيس الفرنسي جاك شيراك أبرز قراراته الرئاسية الثقافية، حين قضى بنقل رفات مالرو إلى مبنى الـ«بانتيون» حيث يرقد عشرات من كبار رجالات فرنسا، من أمثال جان جاك روسو، فكتور هوغو، إميل زولا، وجان جوريس. كان القرار صائباً بالمعنى الأخلاقي والثقافي، إذ لا يجادل أحد في السجلّ الحافل الذي تركه مالرو في ذاكرة فرنسا المعاصرة، بدءاً من نضالاته ضد النازية والفاشية في فرنسا وإسبانيا، وانتهاء بأدواره الحاسمة في تطوير الثقافة وضمان حرية المثقفين حين أسس وتولى أولّ وزارة ثقافة في عهد الجنرال ديغول. ومع ذلك فقد اختلف البعض حول مدى جدارة أندريه مالرو بالخلود في مبنى البانتيون، وتلك مسألة تخص رؤية الفرنسيين لتاريخهم وأبطالهم، والمعايير التي تعتمدها المخيلة الرسمية والشعبية في إعادة تأهيل الفرد، في هذا الطور التاريخي أو ذاك.

ولكنّ الحديث عن مالرو ليس مسألة فرنسية صرفة تخصّ الفرنسيين وحدهم، فالرجل لم يكتب الكثير عن ثقافات الآخرين فحسب، بل دارت معظم أعماله حول الشرق (الصين والهند الصينية بصفة خاصة)، وهو بالتالي دخل في سياق كوني عالمي. وإذا كان من المؤسف أن تغيب الثقافتان الإسلامية والعربية عن نصوصه (رغم ترحاله في المنطقة، ومعرفته بثقافتها)، فإننا لا نعدم بعض الحالات المتناثرة هنا وهناك، مثل تلك النصوص الفاتنة عن اليمن وملكة سبأ، والقرار الشجاع الفريد الذي اتخذه حين أمر مدفعية ميناء مرسيليا أن تطلق 21 طلقة في استقبال تمثال الملكة زنوبيا القادم من سورية إلى معرض فرنسي. وبهذا المعنى فإن المرء لا يستطيع تجاهل جملة حقائق أخرى حول الرجل، تكاد تناقض على طول الخط الصورة اللامعة الطاهرة التي يبدو عليها في العموم. أولّ هذه الحقائق أن الرجل لم يستطع الخروج من دائرة الإستشراق القاتلة، في معظم أعماله التي تتناول موضوعات آسيوية وتنطوي على قيام مغامر أوروبي باختراق هذا «الشرق المظلم»، لتنويره، وحمل «عبء الرجل الأبيض» وتنفيذ «المهمة التمدينية» الشهيرة. وكما هي الحال عند رديارد كبلنغ وجوزيف كونراد ولورانس العرب (الذين أعرب مارلو مراراً عن إعجابه الشديد بهم)، نحن أمام شرق مجرّد من التاريخ الفعلي، خاضع للفانتازيا والتنميطات التقليدية السحرية والجنسية، محتاج أبداً إلى الغازي الأبيض الذي سيتولى أعباء التمدين والتحديث والعقلنة.

وفي «إغواء الغرب»، كما في أعمال مالرو الأخرى مثل «الدرب الملكي» و«الوضع البشري» و«الغزاة» و«مذكرات مضادة»، نقرأ شرق ألف ليلة وليلة دون سواه، ونتابع هلوسات أبطال مالرو حول الحريم والأميرات والسحرة والعفاريت والإبل (حتى في أعمق أعماق ومجاهل الغابات الكمبودية العذراء!)، وأكلة لحوم البشر. ولا يكاد الشرق يغادر صورته المتخيّلة الموضوعة في حالة دونية أمام الغرب، وصورته كمرآة لا غنى عنها كي يرى الأوروبي نفسه ويختبر معضلاته الميتافيزيقية في الأقاصي الكولونيالية. ويندر أن يظهر هذا الأوروبي في غير صورة السوبرمان النيتشوي، الذي «يتغنى بالقوّة العارمة وحدها، ولا يهمه أمر المجتمع في شيء» كما يقول غارين بطل رواية «الغزاة».

والحال أنّ هذا الكتاب الجديد لا ينصف مغامرة مالرو ـ كورنيليون اليمنية فحسب، بل يذكّرنا من جديد أنّ النزعة الإنسية العميقة التي اتصف بها مالرو لا تجعله غريباً تماماً عن الرهط الخالد الراقد في حجرات الـ«بانتيون»، ولكنها كانت وستبقى نزعة إنسية متمركزة حول الذات الأوروبية، المغامرة والغازية والباحثة عن مآزق أقدارها في جغرافيات وتواريخ الآخرين.

ممرض يغتصب مريضتين في المستشفى

مستشفى ينزع كلى المرضى من دون اذنهم

■ يواجيما ـ يو بي أي: تقوم مستشفى يابانية بنزع كلى مرضاها من دون اذنهم من أجل اجراء عمليات زرع كلى لمرضى آخرين.

وذكرت صحيفة «مينيتشي دايلي نيوز» ان مدير مستشفى يواجيما توكوشوكاي هيروميشي ساداشيما أعطى «الضوء الاخضر» للقيام بمثل هذه العمليات من دون علم أو اذن المرضى.

وأجرى الاطباء في المستشفى حتى الآن 11 عملية زرع للكلى خلال الفترة من عام 2004 وشهر أيلول (سبتمبر) الماضي.

وأوضحت الصحيفة أن المسألة بدأت عندما سأل أخصائي في الامراض البولية زميلا له بشيء من البراءة عما اذا كان لديه كلية يريد «رميها» وكان أن حصل على كلية جرى استئصالها من مريض آخر في نفس المستشفى من دون اذنه.

وفي ماديسون وجهت الى ممرض تهمة الاعتداء جنسياً على مريضتين في غرفة طوارئ احد المستشفيات في منطقة ميلووكي.

وارتكب بريان هوفارت جريمتي الاغتصاب في مستشفى فرودتيرت في مدينة واواتوسا في ولاية ويسكونسن في العامين 2004 و 2005.

وتزعم وزارة العدل في الولاية أن المسؤولين في المستشفى حاولوا التغطية على حادثة الاغتصاب الأولى، لكن المستشفى نفت هذه الاتهامات.

وأوضحت المستشفى أن هوفارت لم يعد يعمل فيها.

وفي حادثة أخرى منفصلة، اتهمت جولي ثاو المرضة في مستشفى ماديسون بتهمة الاهمال والتسبب بوفاة قاصر أثناء الولادة.

وقال المحققون ان ثاو أعطت ياسمين غانت عن طريق الخطأ جرعة مخدر بواسطة الحقن عوضاً عن مادة البنسيلين الذي وصفه الأطباء لها.

وقال المسؤولون في المستشفى والأطباء انه يجب عدم اخضاع ثاو للمحاكمة الجنائية بسبب الخطأ الذي ارتكبته.

أردني يقتل ابنته بمساعدة.. شقيقها

■ عمان ـ يو بي أي: قتل أردني ابنته اثر خلافات عائلية، فيما يعتقد أنه جريمة شرف، فجر الخميس الفائت وساعده في عملية القتل شقيق المغدورة.

وقالت صحيفة «الدستور» امس الأحد أن (44 عاما) الأب وابنه (15 عاما) أقدما على على ضرب الفتاة (17 عاما) بالعصا على رأسها وصعقها بالتيار الكهربائي في منطقة وادي عبدون بعمان حتى تأكدا من مفارقتها الحياة.

وقرر المدعي العام توقيف والد الفتاة 15 يوما في مركز اصلاح وتأهيل الجويدة على ذمة التحقيق، وتوقيف شقيقها في مركز للاحداث.

ولم تذكر الصحيفة طبيعة الخلافات العائلية التي ادت لوقوع الجريمة التي يعتقد انها جريمة قتل دفاعاً عن الشرف، وهي من انواع الجرائم الشائعة في الأردن بحكم العادات والتقاليد،حيث يقتل في الأردن سنوياً عشرات الفتيات بدعوى الدفاع عن الشرف.

يذكر ان الحكومة الأردنية فشلت طوال السنوات الخمس الماضية في اقناع البرلمان بتبني تعديل على المادة 340 من قانون العقوبات التي تنص على منح عذر مخفف لمن يقتل دفاعاً عن الشرف.

وقاد الاسلاميون وشيوخ العشائر حملة مضادة لتعديل هذه المادة بدعوى ان تعديلها سيساعد على انتشار الرذيلة والفساد في المجتمع.

الفنانة المصرية هالة صدقي غادرت لندن عائدة الى القاهرة بعد ان امضت اسبوعاً تم خلاله تكريمها من قبل جمعية الاطباء المصريين في بريطانيا في حفل جمعت فيه التبرعات لصالح الاطفال المصابين بالسرطان. هالة صدقي اختارها المخرج يوسف شاهين لبطولة احدث افلامه الذي يبدأ تصويره قريبا ويحمل عنوان «هيه هيصة»؟! (تصوير: روني شنودة)

احوال الناس

● الأميرة **للا أسماء** شقيقة العاهل المغربي الملك **محمد السادس** دشنت بالرباط السوق الخيري للنادي الدبلوماسي الذي تنظمه عقيلات السفراء المعتمدين بالمغرب.

● صدرت الموافقة الملكية على قرار مجلس الوزراء الاردني بتعيين الدكتور **سامي عفاش العدوان** و**عبد الفتاح محمد المعايطة** محافظين بوزارة الداخلية اللذين قرر الوزير **عيد الفايز** عملهما بمقر الوزارة اعتبارا من امس.

● اتحاد المصارف العربية يعقد مؤتمره السنوي في بيروت برعاية **فؤاد السنيورة** رئيس الوزراء اللبناني يومي 7 و8 من الشهر الجاري تحت عنوان «اعادة اعمار لبنان استثمار في مستقبل العالم العربي» بمشاركة ما يزيد عن 700 شخصية من القيادات المصرفية والدولية الوزراء ومحافظي البنوك المركزية العربية.

● مجمع البحوث الاسلامية بمصر قرر اختيار الامام الراحل **المراغي** شخصية هذا العام، وسيتم اقامة احتفالية له كالتي تمت اقامتها للامام **محمد عبده** العام الماضي.

● تبدأ في اليمن اعتبارا من الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) الجاري وحتى السابع من كانون الاول (ديسمبر) المقبل فعاليات مهرجان الفيلم الأوروبي في اليمن 2006 الذي يقام برعاية وزارة الثقافة اليمنية وبالتعاون مع جامعة صنعاء ومؤسسة السعيد في مدينة تعز.

وسوف ينطلق المهرجان من صنعاء، الى عدن، ثم تعز لأول مرة.

● الرابطة العربية للتعليم الطبي المستمر ستعقد مؤتمرها العلمي في القاهرة بمناسبة اليوم العالمي للسكر يوم 16 من الشهر الجاري.

● الزميل **زهير اندراوس** رئيس تحرير صحيفة «كل العرب» اليومية الصادرة في مدينة الناصرة في الداخل الفلسطيني ومراسل «القدس العربي» قام وحرمه **عدلة** بزيارة الى العاصمة البريطانية لندن لمدة 3 ايام.

● الفنانة المصرية **الهام شاهين** ستقوم قريبا بتصوير المسلسل التليفزيوني الجديد «قلب امرأة» من تأليف **مجدي صابر** وسيخرجه **مجدي أبو عميرة**.

● محكمة القاهرة للأمور المستعجلة قررت تأجيل نظر الاستشكال المقدم من المطربة **شيرين عبدالوهاب** ضد قرار نقابة المهن الموسيقية بوقفها عن الغناء الى يوم 20 من الشهر الجاري.

● **محمد برادة** مدير الشركة العربية الافريقية للصحافة والنشر يغادر المغرب متوجها الى القاهرة للمشاركة باجتماعات المؤتمر العام لاتحاد الموزعين العرب الذي يبدأ غدا الثلاثاء في العاصمة المصرية.